حمدا لمن تفرد بالبقاء والقدم وتنزه عن الفناء والحدوث والعدم فهو الذى ملك الوجود بقوته وأوجده باختياره وارادته وأتقن العالم بحكمته فابدعه على أحسن مثال وأبرزه بقدرته فاخترعه على أتم منوال وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى أرسله الى الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وعلى آله وأصحابه الذين ملكوا بعزمهم المشارق والمغارب ﴿وبعد﴾ فيقول الراجى تحصيل المعارف الفقير محمد أمين واصف انى لما كنت بالمدارس التجهيزية الاميريه جمعت رسالة فى تاريخ الامم المشرقية من أغلب مؤلفات مؤرخى العرب والفرنج المعتبرين والعلماء المحققين للمساعدة بها فى مذاكرة البحث لنوال شهادة البكالوريا فأشار على بعض الاخوان بطبعها لتعميم الفائدة بها ولما وجدت ان هذه الرسالة لا يحسن طبعها بالطريقة التى كانت عليها وكان ولا بد من تكميلها وتهذيبها بل ووضعها فى قالب المؤلفات المعتادة حتى يسهل الاخذ عنها اذ الزحم الطلاب بموردها اخترت من بين اخوانى لمشاركتى فى هذا المقام الجليل حضرة أخى الفاضل عبد العزيز افندى محمود لعلمى انه من ذوى الدراية التامة بالعلوم التاريخية وغيرها فقام حضرته بتكميلها أجل قيام وذهب فى اتمامها من طرق مختلفة ثم نقحناها ورتبناها على النسق الموجود فجاءت بعون الله عجالة منزهة عن الترهات خالية من الخرافات وسميناها ﴿اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر﴾ مع اشتمالها على تاريخ سكان الشرق السالفين خدمة لاهل الوطن عموما وأبناء

المدارس

المدارس خصوصا وطبعت المرة الاولى وقدمت للنظارة فقررت تدريسها وهذه هى الطبعة الثانية نقدمها لحضرات اخواننا الافاضل أبناء المدارس المصرية فى عصر ازدهرت أغصانه وماست أفنانه عصر أعيد فيه مجد تالد وسلطان عز كان على أهبة الرحيل عصر مولانا الخديو المعظم ﴿عباس حلمى باشا الثانى﴾ أفاض الله عليه من أثواب التأييد حصيفها وجعله للعارف وأهلها نه يرها وظهيرها لازال والنصر خادمه والسعد نديمه تابس به مصر لباس الشبيبة بعد الهرم وتحيابه الارض بعد ميتها ﴿ولله در القائل﴾

لاتنظرن الى العباس من صغر * فيه وانظر الى المجد الذى شادا
ان النجوم نجوم الجو أصغرها * فى العين أكثرها فى الجو اصعادا

فقد ألبس حماه الله كل مصرى نعمة ورفع عنه نقمة حتى أجمعت الناس على محبته وأصبح لسان الحال وهو يقول

ولو قيل اطلبوا شرفا لقلنا * يعيش لنا الامير ولا نزاد

ولما أبى الدهر الا نصرته وتعزيز سلطانه وتأييد كلمته قيض الله له رجل السياسة ورب الحكمة والدراية وقطب دائرة المعارف من رضع من اطار الحوادث حلوها ومرها فادخر لصروف الزمان مهلك الطغاة مبيد العتو وأهل الضلال صاحب الدولة والاقبال الوزير الخطير ﴿رياض باشا﴾

لازال يسلك فى العلياء خطتها * ومصر ترجوه دون العرب والعجم

هذا ونرجو ممن يطلع على عثرة أن يصلحها ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين

مقدمة

(١) ﴿فى ثمرة علم التاريخ وأقسامه﴾

ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى فى أول مقدمة تاريخه ما نصه (اعلم ان

فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذهو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا)

فالتاريخ هو مرآة الازمان ومنبع العلم والحكم وناصر العدل والفضيلة فهو يرشد الانسان ان الفضل دون غيره يورث العظم والاحترام ويشخص لنا الوقائع وقد سلفت ويعيد لنا الممالك وقد ذهب رسومها وعفت فيرى الانسان دماء الابرياء والشهداء قد جعلت التاريخ أسواطا للحق يضرب بها أهل الشر الى يوم الميقات و يلطخ بها صفحاتهم حتى تكون عبرة لمن اعتبر وكذا يسمع عند تقليب مهارقه صياح الامم وأنينهم تحت نير العبودية القديمة فيخرج وقد آل على نفسه أن يكون من أنصار الجنس البشرى وأعوانه يطلب الحرية أينما كانت و يمتد المساعدة لمن يطلبها وكذلك يطلعنا على أحوال من مضى من الرجال أولى المنازل الخطيرة و يوقفنا على كافة أحوالهم وأفعالهم ومشروعاتهم ومقاصدهم وقضائلهم فيعلى قدرهم و يلبسهم ثوب التجلة فن ذلك تعلم نفاسة علم التاريخ وفائدته العظمى

و ينقسم علم التاريخ الى قسمين عظيمين تاريخ طبيعى وتاريخ مدنى أما الاول فليس من موضوع كتابنا هذا

وأما الثانى فهو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران و ينقسم الى فرعين تاريخ عام وتاريخ خاص

فالتاريخ العام هو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانسانى وحاله العمرانى من عهد الخليقة الى عصرنا هذا

وقد جرت عادة مؤرخى الفرنج وغيرهم تقسيم التاريخ العام الى ثلاثة أقسام (الاول) التاريخ القديم أو العالم القديم وذلك من ابتداء الخليقة الى ظهور المسيح عيسى عليه السلام (الثانى) التاريخ المتوسط أو القرون

الوسطى وذلك من ظهور المسيح عليه السلام الى استكشاف أمريكا سنة ١٤٩٢ م (الثالث) التاريخ الحديث أو القرون المتأخرة وذلك من استكشاف أمريكا لغاية وقتنا هذا

وقد ينقسم أيضا الى قسمين قبل الطوفان وبعده أما قبل الطوفان فهو من ابتداء الخليقة الى حادثة الطوفان

وأما بعد الطوفان فينقسم الى فرعين الاول من ابتداء حادثة الطوفان لغاية فتوح القسطنطينية بالاسلام فى عهد السلطان أبى الفتح محمد خان سنة ١٤٥٣ م والثانى من ابتداء فتوح القسطنطينية بالاسلام لغاية وقتنا هذا

وأما التاريخ الخاص فينقسم أيضا فى اصطلاح المؤرخين الى قسمين الاول التاريخ الخصوصى وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة وهذه الصورة الاخيرة تعرف فى اللغة الفرنساوية باسم بيوجرافيا (السيرة أى القصة) كسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره

الثانى التاريخ الجزئى وهو ما يتعلق بخصوص مدة شهيرة أو حادثة كبيرة كتاريخ حروب الصليب وغيرها

وينقسم علم التاريخ الى ما يسمى فى اللغة الفرنساوية باسم الكرونولوجيا أى علم الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام

والى ما يسمى الاتنوجرافيا وهو ما يتبع تاريخ كل أمة على حدتها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الامم الشتى فى عصر واحد سمى باسم السنكرونيسم ويسمى بالتاريخ النظرى أو الفلسفى اذا كان المؤرخ قد اقتص الوقائع مع توضيح أسبابها ومسبباتها وغير ذلك

(٢) تشعب الامم

يظهر لمن درس لغات الامم وسمع رواياتهم وكان على جانب من علم سيما

الوجوه ان الامم القاطنين عند مصبات نهر التنك فى آخر حدود المشرق والامم القاطنين على امتداد سواحل البحر الابيض المتوسط هما من نسل عائلتين كبيرتين يخرجان من أصل واحد غير انهما انفصلا بفاصل عظيم ألا وهو اختلاف لغاتهم وهاتان الامتان قاطنة احداهما غربى نهر الدجلة سامية الاصل والاخرى قاطنة فى الشمال الغربى من بلاد الهند آرية الجنس وتسمى بالجنس الهندى الاوروبى وهذا الجنس ينقسم الى فرعين الاول الامم التى تتكلم بالسنسكريتى (أى اللغة الاصلية القديمة) وذهبوا الى الشرق جهة الهندستان والثانى الامم التى تتبع الكتاب المقدس المسمى (بالزند) قطنوا بالغرب جهة العجم وقد مكثت البراهمة ومن تتبع مذهب زرادشت فى الوحدة والعزلة خارجا عن التمدن الاوروبى الى عهد الاسكندر حيث بث فيهم روح التمدن وأخذوا فى التقدم والارتقاء فمن هذا المحتد الاصلى خرجت أمم لاعداد لها فى زمن غير معلوم لدى التاريخ ونزلوا بالارجاء الغربية الا انه يوجد طريقان يظهران هؤلاء الامم قد ولجوهما عند قيامهم من آسيا الى أوروبا الاول جهة الجنوب اما من بلاد العجم أو من بلاد آسيا الصغرى والآخر فى شمال بحر الخزر بصحراء (سرماسيا) ولقد أغلق الباب الاول مدة فى سالف العصر ملك آشور وميد على أمة البيلاج والليديين وأمة هيلانة الذين ذهبوا واندثرت أخبارهم وكانوا أصل الامم القاطنة بآسيا الصغرى واليونان وايطاليا وأما الطريق الثانى فقد كان مفتوحا من سالف العصر لامة (السلت) والجرمانيين (والسلاف) فظهر حينئذ ان أمتين من أهل آسيا سكنتا قارة أوروبا على يمين وشمال جبلى الهيموس والالب وكان من سكن جهة الالب أقدم ممن سكن بالهيموس والغالب على الظن ان اللغات التى كانت تتكلم بها الامم القاطنة تحت هذين الجبلين مشتقة من السنسكريتى وان اللهجات الجرمانية للامم الشمالية تقرب من لغة (الزند) وبعض لغات أمة

السلت

(السلت) و(الجابليك) تقرب من لغة البراهمة والبعض الآخر يقرب من لغة المجوس فالهند وبلاد فارس وآسيا الصغرى وكافة أوروبا جميعها من الجنس الآرى وأما الجنس السامى فهو الجنوب الغربى من آسيا وشمال أفريقا وجنوب اسبانيا وفى هذين الجنسين وجد الجنس الانسانى تمامه المادى والادبى وكلما تقدم الانسان جهة الغرب وجد ان الجنس الآرى والسامى قد صادما فى طريقهما قدماء قارة أوروبا القديمة فأمم السلت وجدوا أمامهم أقوام (الابير) فدفعوهم الى جبال البرينيه ولم تزل ذريتهم باقية الى الآن ويعرفون باسم (اسكوبالدونا) وقابلت الامم الجرمانيون وأمة السلاف وأمة (فينوا) و(لايون) فطردوهم الى الاقاليم الشمالية وقد استأصلت أمة القوقاز فى أقاليمها العالية الصعبة العبور أمما لم يعلم لهم أصل لدى التاريخ

وفى أعالى جبال الاطلس وطأت البربرة بأرجلهم تأثير سلطة المور (المغاربة) وأهل نوميديا وقرطاجه وروما والعرب والترك بحفظهم لغاتهم الاصلية واستقلالهم وفى الزمن الذى تأسست فيه مملكة شارلمان باوروبا كانت هؤلاء الامم منقسمة الى (أمة الابير الاصلية) وكانت تسكن جبال البرينيه بين نهر الجارون والابير الاعلى وقد خالطهم بعض الفنيقيين فى جهة بلطيق وبعض أمة الغالة (وسلتيبريا) ولقد سكنت أمة (السلت) بريطانيا العظمى وبلاد الغالة وبعض بلاد أكيتين وجزء من بلاد (تربونيز) وأعالى ايطاليا وجبال الالب وعدد عظيم من بلاد الشاطئ الايمن لنهر الدانوب وبعض ايالات آسيا الصغرى (جالاتيا) وأما الجرمانيون وأمة السلاف أو السارمات فقد اقتسموا السهول الواسعة التى بين المحيط المنجمد الشمالى وبحر الخزر وتزاحموا وراء نهرى الرين والطونه وأما أمم اليونان واللاتين فقد سكنوا أواسط مملكة شارلمان والاول قد توجهت أنظارهم الى المشرق وأطاعوا الاسكندر والاخر الى المغرب حيث هنالك كانوا ينشرون عوائدهم ولغاتهم

وأما جهة الجنوب فقد سكنت الامم السامية شواطئ أفريقا جهة البحر الابيض تحت اسم المور وأمة نوميديا والفنيقيين واختلطوا فى مصر بامة الزنج أى أهل الاتيوبيا وفى بلاد الارمن بالجنس الآرى وكذا بجزيرة العرب وفلسطين وأما من سكن بلاد الشام فقد خالطهم أمة هيلانه وكان وراءهم أمة الزند وامة السنسكريت أو الهنود وفى أواخر المشرق الامم المسماة (سير)

(٣) فى استمداد تاريخ مصر

يستمد تاريخ مصر من كلام المؤرخين القدماء والآثار

﴿المؤرخون الاقدمون﴾

اعلم ان تاريخ مصر قبل معرفة اللغة البرباثية (الهيروغليفية) كان يستوعر طريق استيفائه ووصفه ومن المستحيل ادراك تحديده وتكييفه وكنهه نعم وان كانت نصوص التوراة دلتنا على بعض معلومات من تاريخ مصر كعلاقة المصريين بالعبرانيين مثلا حيث دلتنا على ان موسى عليه السلام ولد فى عهد رمسيس ميامون الثانى وان خليفته منفطا هو الذى فى عصره كان خروج بنى اسرائيل من مصر شيشنق الاول أحد ملوك العائلة الثانية والعشرين حاصر مدينة ارشليم الا ان هذه النصوص لم تكن كافية لمعرفة الكرونولوجيا المصرية ولم يكن الا فى القرن السابع قبل المسيح عليه السلام أى فى القرن الثالث عشر قبل الهجرة على صاحبها أفضل التحية حيث عثر على أرقام مضبوطة تنسب الى الكرونولوجيا اليونانية واعلم ان أقدم مؤرخ قد كتب لنا شيأ من تاريخ مصر هو المؤرخ اليونانى هيرودوث الذى زار سواحل النيل فى سنة ٤٥٠ ق م وقد جاء بعده المؤرخ ديودور الصقلى فى سنة ٨ ق م وكذا الجغرافى استرابون أحد معاصرى المؤرخ السابق الذكر والبيان وهو الذى جاب مصر الى الشلالات وكذا

المؤرخ

المؤرخ بلوتاركه الذى ألف رسالته التى موضوعها الكلام على الالهين (ازيس) و (أوزيريس) فى آخر القرن الاول من الميلاد وهؤلاء المؤرخون قد وصفوا لنا مصر بما عهد فيهم من الصداقة وعوائد المصريين وأخلاقهم وديانتهم ونظاماتهم وجميع الاعمال التى صادفت سياحتهم غير ان مؤلفاتهم هذه لم تكن كافية لتشييد دعائم هذا العلم نظرا لجهلهم لغة البلد فانهم وصلوا الى روايات غير قادرين على تحقيقها وفى القرن الثالث قبل المسيح ألف المصرى مانيتون السمنودى والقسيس الاول لمعبد هيليوبوليس وأمين خزائنه تاريخا لمصر لكن لسوء الحظ فقد هذا المؤلف العظيم ولم نعثر على شئ منه الا بعض ما نقله الينا المؤرخ يوسف فى تاريخ الامة العبرانية والمؤرخ (ايزيب) و (چيورج لوسنسل) اليونانى فى القرن الثامن من المسيح وجدول الملوك الذى اعتمده بعض علماء الفرنج وهذا الجدول الذى اعتنى بجمعه القسيس المذكور مقسم الى عائلات ملوكية تشمل جميع الفراعنة الذين حكموا مصر من منذ تأسيس الهيئة الحكومية الى ظهور الاسكندر المقدونى وقد أودعه بعض التفاصيل البيوجرافية وتعيين بعض السنين وبجمع هذه السنين نستدل على ان الهيئة الحكومية قد أسست بمصر قبل المسيح عيسى عليه السلام بمدة تزيد عن ٥٠٠٠ سنة

الا انه لم تتفق كلمة المؤرخين على هذا التاريخ والصعوبة التى أوقفت معرفة مدة حكم كل عائلة هى كون المصريين كانوا يجهلون أمر الكرونولوچيا ومع كل فان الفاضل ماسبيرو استدل بصحيفة ترجع الى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد تقابل احدى سنى حكم رمسيس الثانى ولكن هذه العبارة وغيرها لا يحققها شئ من هذا القبيل وان حققها شئ يتحقق عندنا كثير من التواريخ بدون أن تتعين نقطة تكون مبدأ للتاريخ ولكن يمكن أن يقال على رأى العلامة ماريت باشا ان استعمال تاريخ خاص كان مجهولا عند المصريين القدماء بل كان من عادتهم أن

يحسبوا الحوادث بسنى حكم الملك الذى وقعت فى مدته تلك الحادثة فمن ذلك يتعسر الوقوف على شئ من أمر الكرونولوجيا بما انهم كانوا تارة يحسبون من ابتداء السنة التى مات فيها الملك السابق وتارة من يوم مبايعة الملك الذى أخلفه فهما كانت المقادير الظاهرية لهذه الحسابات ومهما كان تقدم العلم الحالى سنقف عند تحديد زمن الكرونولوجيا المصرية لجميع السنين السابقة لحكم بسامتيك الاول سنة ٦٦٥ ق م

ولا يمكننا أن نضبط هذه التواريخ الا على وجه التقريب وان مانيتون هو الواجب علينا اتباعه فى مثل هذه الريوب ولو ان مانصه ضاده كثير من المترجمين الذين ترجموا كثيرا من الصحف الهيروغليفية

وجدول الملوك يعتبر فيه فى الغالب أسماء الملوك وأما التواريخ فهى فاسدة لا يعول عليها

وأما اذا اتبعنا طريقة البحث والتدقيق فاننا لا نرى الكرونولوجيا قد علمت لنا معرفة جيدة لا نقض فيها ولا ابرام الا من القرن السابع قبل المسيح ولكن الصعوبة تتزايد علينا كلما شرعنا فى تعيين زمن حكم كل عائلة قبل هذا الوقت ويلزم اعتبار تاريخ ماقبل بسامتيك ليس لاريب محض لانهايته له وأما من خصوص مجموع التواريخ وتعاقب العائلات والآثار التاريخية فاتحاد المؤرخين عليها كفاية

وقد قال المعلم (فونتان) قد يمكن أن نتسع فى المناقشة اذا نظرنا المسئلة وحيدة وهى هل منا أو مصرايم كان هو أول ملك لمصر وهو منظم البلد أو هو ليس الا ملك من ملوكها قد سبقه غيره من الملوك ولكن لا يمكننا أن نجعد حكمه أصلا لان التاريخ القديم لمصر خلا بعض تفاصيل هو معلوم جيدا من ابتداء (منا) لغاية دخول مصر تحت حكم الرومان

ومن عهد الازمان الغابرة كانت تعرف المصريون السنة الشمسية وتقسيمها الى ٣٦٠ يوما والى ١٢ شهرا وكل شهر ثلاثين يوما و ٥ أيام فى آخر السنة وهى المعروفة بأيام النسىء وبعد ذلك اخترعوا زمنا

فلكيا

فلكيا بديعا لاجل أن يتوصلوا به من زمن الى آخر لاتحاد هذه السنة بالسنة الحقيقية وهى ٣٦٥ وربع ولكن لما كانوا لا يعرفون مثلنا الآلات البصرية المستعملة فى الارصادات فما كان عندهم من المعلومات ليس الا نتيجة ارصادات عينية فعوضا عن انهم كانوا يضيفون يوما واحدا فى آخر كل أربعة سنوات كانوا يضيفون سنة كاملة فى كل ١٤٦٠ سنة أعنى ٣٦٥ فى ٤ وأوائل هاتين السنتين تتحد مع زمن شروق كوكب الزهره (المسمى سوتيس) أو (سيريس) التى كان شروقها دليلا على أول السنة وحصول فيضان النيل وكان لهذا الوقت أعياد ومواسم كبيرة فى البلاد وقد جرب كثير من العلماء صحة جدول مانيتون باشتغالهم بتحقيق بعض التواريخ المعاصرة لبعضها المتنازع فيها فمثلا لما اعتبر على وجه التجربة شروق الزهرة مناسبا السنة من سنى حكم ذكره مانيتون فكل من العلامة بيوت وروجيه الفلكيين أمكنهما بواسطة حسابات قهقرية بطرق فلكية تعيين زمن هذه الظاهرة بالسنين الجليانية وبذلك علم حكم الملك الذى حصلت فى مدته هذه الظاهرة الفلكية ولكن هذه النتيجة الحسناء الصادرة عن فكرة وذكاء لم تسلم من نقد العلماء

وقد ذكر لنا المؤرخ فرنسيس لونورمان ان الملك رمسيس الثالث نقش على جدران هيكل مدينة (أبو) تعديلا عظيما للاعياد والمواسم الدينية حينئذ على حسب هذا التعديل فيوم عيد شروق كوكب الزهرة يعين لنا ان نقش تذكاره يستفاد منه ان السنة الثانية عشرة من حكم الملك رمسيس الثالث كانت احدى هذه السنين التى اعتبرت مبدأ للعصر الفلكى للمصريين وفى هذه السنين تطابقت السنين الاعتيادية ٣٦٥ والسنة الشمسية وبواسطة حسابات الفلكى الشهير بيوت علم ان هذا التطابق النادر كان قد حصل فى سنة ١٣٠٠ قبل المسيح ومنه يعرف ان جلوس رمسيس الثالث على تخت الاريكة المصرية كان سنة

١٣١١ ق م

وقد قرأ العلامة (شاباس) على ورقة من البردى عبارة يستدل منها على انه فى السنة التاسعة من حكم الملك (منقرع) حصل شروق الزهرة وبما انه عندنا جملة نقط مبدأ معينة لجملة شروقات للزهرة فبالحساب نجدان السنة التاسعة من حكم هذا الملك هو محصور مابين ٣٠٠٧ و ٣٠١٠ ق م ويرى من هذه الحالة ان زمن العائلات الاولى كان زمنا بعيدا جدا ولكن هذه الطريقة ليست مقبولة الا احتياطا فقط لانها تعين الكرونولوجيا المصرية بواسطة ارصادات فلكية هى من الضرورى غير مضبوطة ومع ذلك يمكنا أن نقول على رأى ماريت باشا ان فرق من ٧٠٠ الى ٨٠٠ سنة فى مثل هذه الاحوال ليست الا نتيجة خطأ من المحتمل صحته

الآثار

لاريب ان قدماء المصريين هم أول أمة لها الفضل الاوفر على ماعداها من الامم اذ علمتهم مبادى التمدن وأخرجتهم من مفاوز الجهالة وكهوف الهمجية الى علم الظهور والارتقاء وملوكهم هم الجبارون الذين لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب وهم الملوك الذين أثاروا الارض وعمروها وبنوا المدائن وحصنوها وجعلوا فيها القصور الشاهقة والمبانى العالية والمسلات الشامخة ونالوا فى حال المجد والفخار اكثر من سبعين قرنا يشهد لهم بذلك ماعثرنا عليه فى القبور من موتاهم والآثار العديدة وخصوصا الجبانات العظيمة فهى الشاهد العدل والدلائل القاطعة اذ هى الآن بمثابة الكتب الضخمة وكذا الهياكل والمعابد كل ذلك يدلنا على فضل الامة المصرية وتفاصيل عوائدهم وأخلاقهم فى تلك الازمان الغابرة والآثار العجيبة التى لاعداد لها تعرب عن فخر الفراعنة الذين شيدوها فاننا نرى منقوشا على

جدران

جدران هياكل طيبة وغيرها باطنا وظاهرا وعلى سطوح المسلات وداخل الدهاليز نصراتهم وفتوحاتهم وبهارسومات تدل على سطوتهم وعلى طاعتهم لآلهتهم وكذا المومياوات تدلنا على عيشتهم الخصوصية الافرادية وان كانت فى بعض الاحيان لا تخلو من المبالغة والغلو وكذا تعرب عن عيشتهم التى كانوا يرغبونها فى دار الآخرة والبقاء فصوروا رفاتا وأصبحوا الاثرى الامساكنهم وآثارهم التى ازينت بها متاحف أوروبا وهو ماودار التحف المصرية خصوصا التى أسسها الفاضل الفرنساوى المسيو ماريت باشا بولاق ونقلت الآن بسراى الجيزة وهى الآن مشحونة بما صنعته يد الحرف والصنائع القديمة

ومن الآثار التى اعتبرت أساسا للمعلومات التاريخية التى تحصلنا عليها هى

﴿أولا﴾ اللوح البردى الملوكى المحفوظ الآن بمدينة تورين (بايطاليا) ولو كان هذا اللوح باقيا على حالة تمامه الاولية لاصبح أنفس أثر يوجد لعلم الآثار القديمة المصرية المعروف عند الفرنج باسم (الارشيولوجيا المصرية) وهو يشتمل على رسومات حقيقية وتواريخ تبين حكم مصر فى سالف العصر من منذ أقصى العصور الاولية الغابرة مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعى ان ذيل هذا اللوح مشطور وهو محرر فى عهد الملك رمسيس الثانى أعنى فى أبهى العصور وأبهجها فهو اذن متصف بجميع الشروط التى تجعله من المستندات الرسمية ليكون لعلم التاريخ اعانة قوية حتى انك ترى أمام كل ملك رقم مدة ولايته وبعد كل عائلة رقم مدة حكمها يتمامه الا ان لسوء الحظ ليس الا قطعا متفرقة تبلغ ١٦٥ قطعة لم يمكن من ترتيبها كما كانت عليه فى الاصل

﴿ثانيا﴾ قاعة الاسلاف وهو أثر وجد بهيكل الكرنك ومحفوظ الآن بدار التحف الملوكية بباريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجد مصورا على جدرانها صورة الملك طوطمويس الثالث على هيئة المتنسك أمام ستين ملكا من أسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف ومما يجب التنبيه عليه

ان المصور الذى عنى برسم هؤلاء الملوك لم يلتفت الا الى حسن التصوير والتزويق لا الى ترتيبهم وتعاقب أزمانهم ومنه استفيد ضبط أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية ولو لم يعتريه التشويه لكان هذا الاثر أنفع من غيره لعلم التاريخ

﴿ثالثا﴾ جدول ابيدوس وجد هذا الاثر باطلال مدينة العربة المدفونة ونقل الآن الى انتيكخانة لوندره وهو تصوير حالة تنسكية وهيئة تعبدية مركبة من جملة ملوك فراعنة غير مرتبين لاسباب مجهولة ولداعى ما اعتراه من التشويه كاد أن يكون لا قيمة له فى التاريخ ولكن الميوماريت عثر على نسخة أخرى منه فى احدى هياكل المدينة المذكورة مؤرخا من عهد الملك سيتوس الاول أتم من الاولى فجاء هذا اللوح محققا لما رواه مانيتون من أسماء ملوك عائلات فرعونية من العائلات الستة الاول

﴿رابعا﴾ أثر سقارة عثر عليه أيضا ماريت باشا وهو محفوظ الآن بدار الآثار بالجيزة وبه تأكد ما وجد بجدول ابيدوس الجديد ووجد فى مقبرة أحد القسس الذين كانوا موجودين فى عصر رمسيس الثانى واسمه (توناري) والى غير ذلك من الآثار التى تحقق لنا فخر المصريين وتقادم عهدهم وتمدنهم وارتقاءهم فى هذا العالم الدنيوى وبذلك نعلم أيضا أن لا يوجد تاريخ أمة من الامم محرر على مستندات حقيقية أثرية وأقوال مؤرخين محققين ورواة مدققين أكثر من تاريخ الامة المصرية ومما ساعد كثيرا على كشف أسرار هذه الآثار الكفرية فك رموز اللغة الهيروغليفية الآتى ذكرها

اللغة الهيروغليفية

اعلم ان اليونان والرومان لم يشتغلوا بشئ من أمر اللغة البربائية التى كانت تتكلم بها اسكان مصر لغاية مدة حكمهم فلذلك طرحها الكتاب من أفكارهم

أفكارهم فأصبحت سرا مكنونا وحجابا مستورا مصونا حتى وفد على مصر علماء فرنساويون صحبة التجريدة الفرنساوية التى غزى بها بونابارت الديار المصرية سنة ١٧٩٨ ميلادية ففى سنة ١٨٠٠ ميلادية بينما كان الضابط الطوبجى المسيو بوسارد مشتغلا بالحفر جهة رشيد لانشاء المتاريس والاستحكامات للتحصن هناك عثر على حجر منقسما الى ثلاثة أقسام ﴿القسم الاول﴾ مكتوب بالقلم الهيروغليفى الذى كانت تستعمله الكهنة فى الكتب المقدسة ﴿والقسم الثانى﴾ مكتوب بالقلم الديموطيقى الخط المعتاد ﴿والقسم الثالث﴾ الاسفل بالخط اليونانى ومكتوب فى آخره انه ترجمة ماسبق بالخط البربائى فأخطر هذا الضابط جمعية تقدم المعارف الفرنساوية بهذا الحجر المشتمل على أمر عال صادر من بطليموس الخامس فتلاعبت أفكار العلماء بحل مايكنه هذا الحجر وسموه (حجر رشيد) ومازال جملة من علماء أوروبا يتعاقبون الواحد بعد الآخر فذهبت أعمالهم سدى ولم تأت بأدنى فائدة غير ان العلامة (زويجا) اقترح ان أسماء الملوك عند قدماء المصريين كانت توضع فى نوع مستطيل ضلعاه الصغيران قوسان سماه خرطوش واستمر ما اشتمل عليه هذا الحجر مكنونا زمنا طويلا غير ان المعلم الانكليزى يونج استخرج بعض الحروف الهجائية وظهر بعده الشاب ذو القريحة الوقادة الذكى الفطنة الفرنساوى حنا فرنسيس شمپوليون فاشتغل منذ شبيبته بتعلم اللغات الشرقية وخصوصا القبطية ومارس كثيرا من النقوش الاثرية الى ان عرف ان الخط البربائى ليس الا كاللغات الاخرى ذات علامات يتلفظ بها كالحروف وانه يكتب على ثلاثة أشكال خط هيروغليفى وهو الخاص فى الغالب بالاديان وخط هيراطيقى وديموطيقى وهما مختصر الخط الهيروغليفى كالنسخ والرقعة والديوانى فشرع فى سنة ١٢٣٨ هجرية فى استخراج ماتوقفت فيه العلماء فى مدة سنتين استخرج جملة حروف هجائية والطريقة التى اتبعها هى انه لما وجد فى النص اليونانى

اسم بطليموس أخذ ما يقابله من الخرطوش المدون فى الخط البربائى الذى تحته فبمقابلة هذين الخطين عرف الحروف الاصلية من الزوائد ثم قابل ما عنده من الحروف باسم كليوبطره فاستخرج بعض حروف أخرى وهكذا اسم اسكندر الاكبر وبساميتيك وتحوتمس حتى عرف الحروف الهجائية ثم بقى عليه مسئلة معضلة أظهر فيها هذا العالم ما يدل على رفعته وقدره وحدة ذكائه وهى معرفة اللغة نفسها اذ ماذا يفيد النطق بالالفاظ مع جهل المعنى فما زال يطابق الثلاثة خطوط المرسومة على حجر رشيد على بعضها الى ان استخرج بعض علامات أخرى وهكذا سلك أسلوب الترقى من المعلوم للمجهول حتى ابتدع فن الكتابة المصرية القديمة المعروفة بالبربائية أو الهرمسية وألف لها آجرومية شبيهة بالآجرومية القبطية وقاموسا لهذه اللغة ومع كل فلم يسلم من سهام النقد والتنديد حيث خطأه كثير من العلماء ومع كل فانه لما مات شمپوليون سنة ١٢٤٩ هجرية سنة ١٨٣٢ ميلادية اشتغل كثير من العلماء بتعلم هذه اللغة مع كثرة المناقضة فيها ولم تزل الى الآن الناس تشتغل بالقلم المصرى حتى صار الآن مربوطا بقواعد وأحكام غير منقوضة ولم تزل تزداد بزيادة هؤلاء الطلبة وبهذه الطريقة عينها حلت العلماء الاوروپاويون اللغة الآشورية والبابلية المعروفة بالحروف الزاوية الشكل العلامة جروتيفان سنة ١٨٠٢ والعلامة اجين برنوف مع ما كان عندهما من لغة السنسكريتى فالاول كان موضوع بحثه اسمين علمين دارا واكزركسيس والثانى صحيفة وجدت فى جبل الفان على مقربة من استخر وكذا غيرهم من العلماء وقد قرئت الصحائف واتضحت كمال الايضاح وتحصلوا على حروف الهجاء خلا بعض علامات اعتراها بعض التغيير من حيث المعنى

فواعجبا من جد هؤلاء الاغراب فى كشف رموز هذه اللغة وابراز تاريخنا من عالم الخفاء الى عالم الظهور وتقاعدنا عن مثل هذه الاعمال وغيرها

التى

التى نحن أحق بها من غيرنا

العصور

قسم مؤرخو الفرنج العصور الى ثلاثة أقسام وهى الاعصار الاولية والاعصار الخرافية والاعصار التاريخية

أما الاعصر الاولية فهى المدة التى ابتداؤها خلق الانسان وغايتها حادثة الطوفان ولذلك انها عندهم منقسمة الى قرعين المدة الدنيوية والمدة الطوفانية

والاعصر الخرافية هى المدة التى ابتداؤها تفرق الامم وتبلبل الالسن وبناء المدن وتأسيس الممالك ببلاد الصين ومصر واليونان الى ظهور الانبياء المرسلين والشعراء المشهورين ووضع أساس العالم الدنيوى ولذلك قسمها مؤرخو الاوروبيين الى أزمان وثنية وأزمان بطلية (نسبة للشجاع البطل) وأزمان نبوية أو شعرية فأول الازمان هو الذى كانت فيه مصر واليونان وغيرهما مياالين لترقية ملوكهم الى رتبة الآلهة والثانى الزمن الذى ظهرت فيه الجبابرة الذين شنوا الغارات وأسسوا المدن والثالث ظهور الانبياء الكرام والشعراء المعتبرين كالخليل ابراهيم وموسى عليهما السلام وشعراء اليونان

وأما الاعصر التاريخية فهى الازمان التى أخذ فيها علم التاريخ فى الظهور وهذه المدة تنقسم الى جملة أقسام منها المدة التشريعية أى الزمن الذى ظهر فيه المشرعون كلكورغه فى اسبارطه وسولون فى أتينا ونوما بومبليوس فى روما (ثانى ملوكها) وكونفسيوس ببلاد الصين وغيرهم ومنها مدة فخار اليونان ومدة اختلال الجمهورية الرومانية

مصر الاصلية

اعلم ان هذا الوطن العزيز والبلد الامين الذى حكى الفردوس ماء وزرعا صاحب الخيرات الوافرة والفيض العميم كان فيما سلف من الاعصار

خاليا من القرى والامصار وكان الوجه البحرى الذى هو أبهى وأبهج وأزهى وأزهر الاقاليم المصرية وأعمرها الآن تعلوه المياه وقد امتدت تيارات البحر الابيض الى أمد بعيد وتلاطمت أمواجه بالسهول المرملة التى بها الاهرام الآن وكانت مصبات النيل تنتهى الى قرب منفيس والدلتا مغطاة بعضها بماء النيل والبعض الآخر بمياه الملح وبها بعض جزائر ينبت فيها البردى والغاب وعلى يمينها وشمالها كان يغير النيل بلا انقطاع مجراه الاصلى وأما أراضى الشاطئ فكانت جدبة رملية ليس بها ماء ولا زرع ولا نبت ولا ضرع ومازال حتى عرف الناس حفر الترع وصنع الجسور وتنظيم النيل وحمل مياه الرى الى أراضى الوادى البعيدة فجاءت مصر بصنع أهلها مملكة مستعدة وأرضا جافة تزرع بعد ان كانت بحورا حرية بالاقلاع وأوجد النيل أراضى مصر وأخرج لها منظرا عاما يفيض عليه مياهه كل عام وصار النيل على توالى الاعصار يحمل من أقصى الاقطار وجبال الحبش وبحيرات خط الاستواء رمالا ومواد طينية وجيرية حتى ارتفعت الارض وردمت الخليج الذى كان أوجده البحر بالوجه البحرى وشئ من ذلك سهل عظيم به مستنقعات يتخللها برك ومن بينها يأخذ النيل مجراه على الدوام ثم تكونت أراضى الدلتا على شكل مثلث رأسه تقرب من منفيس وضلعه الثالث المتعرج المتباعد نحو الستين فرسخا من الرأس ينتهى بشمال اطلال اتريب (بنها العسل الآن) ثم بعد ذلك أخذ النيل فى ردم الاراضى بطميه حتى تراكمت فى شمال الدلتا فاندفعت بجملتها فى الانحدارات ومازالت تتسع الارض كما فى أيامنا هذه بما يجلبه النيل شيئا فشيئا من أقاصى افريقا وأما مدة تكون الاراضى بمصر فمجهولة الحال حيث قال الاقدمون انها أزمان طويلة جدا وأما العلماء الحاليون فقالوا انها تبلغ ثلاث آلاف أو أربع آلاف سنة